الجوانب الحضارية في أذربيجان زمن بني أمية
(40 – 132 هـ/ 660 – 794 م)

د. سارة بنت عبدالله سيف العتيبي
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك/ جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

1441 هـ / 2020 م

لقد كان الفتح الإسلامي لأذربيجان إيذاناً بانتشار الحضارة الإسلامية بها، واستقبل المجتمع الأذربيجاني التراث الإسلامي بقوة وتقبل كبير، خاصةً وأنه رافقه انتشار للقبائل العربية واستقرارها، وهذا الاستيطان جعل المجاهدين المسلمين يحرصون على اصطحاب أسرهم وذويهم معهم؛ مما شجع القبائل العربية على متابعة التدفق إلى أذربيجان، وكان لها دورها المهم في عملية بناء دولة إسلامية لها حضارتها وقيمها التي تحرص على حمايتها وازدهارها. ويعود الاستقرار العربي إلى عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي قام بإسكان أردبيل جماعة من العرب من أهل العطاء والديون, وبنيت المنازل الخاصة بهم, كما قام الخليفة ببناء المسجد لها ، كما ساهمت القبائل بالتعمير والبناء في المنطقة، مما كان له أثره في الازدهار الحضاري الإسلامي هناك، كما قامت بالدعوة إلى الإسلام، وأدى الاتفاق بين الطرفين ، وامتزاج الأجناس المختلفة إلى انتشار الإسلام والأخذ من الثقافة الإسلامية، مع التمسك بالقيم الثقافية الموروثة، فشهدت المنطقة تبعاً لذلك ازدهاراً ثقافياً عظيماً، نابعاً من الاستقرار السياسي الذي كان له نتائج بعيدة المدى، فقد أدى الفتح الإسلامي في أذربيجان إلى استقرار الحياة السياسية والاقتصادية في البلاد؛ مما أدى إلى تعزيز السلطة الإسلامية فيها، كما كان للثروات الطبيعية الأذربيجانية جذبٌ واسع لكثير من الجماعات العربية، فهاجروا إليها واتخذوها موطناً لهم، وكان استقرارهم إما في المدن أو القرى الصغيرة ، والنتيجة الطبيعية لظاهرة استيطان العرب في مختلف نواحي أذربيجان ازدياد اعداد معتنقي الدين الإسلامي. وكان للاستقرار السياسي أثره في ازدهار المراكز التجارية والصناعات، وتوسيع العلاقات التجارية في الداخل ، بل وامتد إلى الخارج مع الهند والصين، ومع أوروبا الشرقية والغربية . وتناول هذا البحث تلك المظاهر الحضارية التي صحبت ذلك الاستقرار في زمن بني أمية حيث كانت أذربيجان تابعة للدولة الأموية , وليس أدل على ذلك ما أورده اليعقوبي عند ذكره للخراج الذي كان يتم جبايته من البلاد المفتوحة , فقد ذكر أن خراج أذربيجان كان ثلاثين ألف ألف درهم . وعلى الرغم من الاستقرار الكبير للعرب المسلمين في أذربيجان, ودخول الكثير من سكان أذربيجان في الإسلام إلاَّ أن الحكم أو التبعية للدولة الأم أو الخليفة يخضع إما لقوة الخليفة أو لقوة الدولة المسيطرة على المسلمين, ومن المعروف أن الخلافة الأموية في بدايتها كانت غير مستقرة ,

ولم تفرض سيطرتها على جميع أجزاء الدولة الإسلامية نظراً للظروف والمشاكل الداخلية التي تعرضت لها في بداية تأسيسها وقيامها ، وأذربيجان مثلها كمثل أي جزء من أجزاء الدولة تتأثر بغياب السلطة القوية، كما تتأثر بحضورها، فاستغل أهلها الوضع المتأزم والثورات الداخلية في جسد الدولة الإسلامية وبين حكامها وقوادها؛ فما كان منها إلاَّ أن بدأت تنعزل قليلاً عن هذه الأحداث التي تسيطر على البلاد الإسلامية، وكانت السيطرة على أذربيجان من عمال بني أميه في العراق ، وقبضوا على زمام الأمور فيها ، ومع ذلك كانت تتأرجح مابين رفض وقبول لأن الكثير من المعارضين للدولة الأموية، أو الذين يريدون أخذ الثأر لآل البيت، ولكن ذلك لا يعني انفصال أذربيجان عن الحكم الإسلامي, وإنما ما يخرج من معارضة فيها إنما يعبر عن هدف شخصي أو مجموعه التفت حول أحدهم, واستطاعت الدولة القضاء عليهم، واستتب الحكم الإسلامي في أواخر عهد الأمويين في أذربيجان وظلت خاضعة للأمويين حتى سقوطها.

وكان لهذا الاستقرار السياسي فيها إيذاناً بانتشار الحضارة الإسلامية بها، واستقبل المجتمع الأذربيجاني التراث الإسلامي بقوة وتقبل كبير، خاصةً بعد استيطان القبائل العربية، وكان لها دورها المهم في عملية بناء دولة إسلامية لها حضارتها وقيمها التي تحرص على حمايتها وازدهارها. وقامت القبائل والعشائر التي نزلت هناك بشراء الأراضي الزراعية، وعملوا بها مع الأهالي، وقامت هذه القبائل بالدعوة إلى الإسلام، وبالتالي حدوث التطور في البلاد بسبب الاتفاق بين الطرفين. وكان للثروات الطبيعية التي كانت أذربيجان تتميز بها جذبٌ واسع لكثير من الجماعات العربية، فهاجروا إليها واتخذوها موطناً لهم، والنتيجة الطبيعية لهذه الظاهرة والمتمثلة في استيطان العرب في مختلف نواحي أذربيجان كانت ازدياد الداخلين في الدين الإسلامي. كان للمغازي السنوية دورها في ذلك أيضاً. وكان للاستقرار السياسي أثره في ازدهار المراكز التجارية والصناعات، وتوسيع العلاقات التجارية، وكانت برذعة تنتج الحرير والأقمشة المختلفة، وتلتقي فيها طرق التجارة لتوصلها إلى المدن الأخرى، كما تستورد أذربيجان عبرها الحديد والفراء والعطور والبهارات من البلدان الخارجية، وتصدر إليها في المقابل الحرير الخام والمنسوجات والنفط وغيرها، وتطورت أيضاً علاقاتها التجارية مع الهند والصين، ومع أوروبا الشرقية والغربية.

مقدمه

قامت الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان[1]، ودان لها المسلمون ما يقارب ثمانين سنة (40-132هـ/660-749م) ، وبقيام دولة بني أمية أصبحت جميع المناطق والولايات والبلاد المفتوحة تحت حكم هذه الدولة الجديدة وحكمها، وكذا أذربيجان كواحدة من البلدان التي فتحها المسلمون وصالحوا أهلها أصبحت تابعة للدولة الأموية ، وجزءاً مسلماً من الكل الإسلامي ، وليس أدل على ذلك ما أورده اليعقوبي عند ذكره للخراج الذي كان يتم جبايته من البلاد المفتوحة ، فقد ذكر أن خراج أذربيجان كان ثلاثين ألف ألف درهم[2]. وفي ذلك دلالة على أنه في مطلع العهد الأموي كان للإسلام أتباع كثيرون في أذربيجان، ويتكون هؤلاء الأتباع من عنصرين أساسيين هما: أهالي البلاد الأصليين، والعرب الذين وفدوا على البلاد واستقروا بها، ودعوا الأهالي للإسلام.

ولابد من الإشارة إلى أنه وبالرغم من الاستقرار الكبير للعرب المسلمين في أذربيجان، ودخول الكثير من سكانها في الإسلام إلاّ أن الحكم أو التبعية للدولة الأم أو الخليفة يخضع إما لقوة الخليفة أو لقوة الدولة المسيطرة على المسلمين، ومن المعروف أن الخلافة الأموية في بدايتها كانت غير مستقرة، ولم تفرض سيطرتها على جميع أجزاء الدولة الإسلامية نظراً للظروف والمشاكل الداخلية التي تعرضت لها في بداية تأسيسها ، من رفض وثورة لأنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه لخلافة معاوية بن أبي سفيان - مؤسس الدولة الأموية - ، ومن حكم عبد الله بن الزبير[3] في مكة، وما

---

(1) ابن صخر بن حرب بن أمية، مؤسس الدولة الأموية، عمل نائباً على الشام عشرين سنة، وتولى الخلافة عشرين سنة، فتح قيسارية وقبرص توفي سنة 60هـ/679م. (الطبري: محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، **تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك** ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1411هـ/1991م، ج3، ص230 ؛ الذهبي: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت745هـ/1344م)، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ج3، ص120؛ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت774هـ/1372م)،**البداية والنهاية**، تحقيق أحمد عبدالوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، 1414هـ/1994م، ج8، ص12).

(2) النسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت277هـ/890م)، **المعرفة والتاريخ**، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1999م،ج3، ص325، 326 ؛ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت282هـ/895م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر: تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت، (ب،ط) ، (ب،ت)، ج2، ص233، 234.

(3) ابن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، يكنى أبا بكر و أبا خُبيب، ولد سنة 2هـ/ 623م، شهد من المعارك والده أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن رواة الأحاديث، أمه أسماء بنت أبي بكر، جدته لأبيه صفية بنت عبدالمطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، توفي سنة 73هـ/ 692م. (الطبري: محمد بن جرير (ت310هـ/1922م) ،**المنتخب من كتاب الذيل المذيل**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1977م، ص55؛ المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت 845 هـ/1441م)، **المقفى الكبير**، تحقيق محمد المعلاوي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411هـ/1991م، ج4، ص351 ؛ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/2000م،ج8، ص159).

حدث من أمر الخوارج[4] والشيعة[5] وماحدث من مكاتبة أهل الكوفة[6] للحسين بن علي[7] ومسيره إليهم ومقتله، وماتبعه من سخط أنصار علي على ماحدث، وسيطرة المختار[8] على الكوفة والتي كانت مجمع الثوار، واتحاد كلمتهم تحت حكمه وبايعوه على الطلب بدماء أهل البيت وقتال من قاتلهم ومسالمة من سالمهم[9]. واستغل أهل أذربيجان ذلك الوضع وبدأت تنعزل قليلاً؛ ولكن المختار بعد استقرار الأمور بدأ في التفكير بالأجزاء والدول المحيطة به، وحتى يضمن امتداد نفوذه، عقد الألوية لفرض سيطرته المباشرة على المجاور له من الدول، فبعث الجيوش لها، ومنها أذربيجان

---

(4) فرقة خرجت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي فرقة مباينة للسنة والشيعة، طالبت بالتحكيم وقالوا لاحكم إلا لله، وكفروا علياً رضي الله عنه ومعاوية وسائر من خالفهم ممن لم يرَ رأيهم، وهم طوائف كثيرة.(ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/1987م، ج3، ص322 ؛ابن فضل الله العمري: القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت749هـ/1328م)، **التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1988م ، ص205).

(5) فرقة تمسكت بحق علي في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم، ولكنهم تمادوا وانحرفوا في المستقبل وتشددوا، وظهرت منهم عدة فرق منافية للدين الإسلامي الصحيح .(ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ط3، 1397هـ، ج3، ص141 ؛ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1392هـ/1972م، ص 299).

(6) مصر مشهور ببابل من سواد العراق، تسمى خد العذراء، سميت بالكوفة لاستدارتها وهي تقع في الإقليم الثالث.(الحموي: أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان،ط2، 1922م، ، ج4، ص490 ؛ الحميري: محمد بن عبدالمنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975م ، ص314).

(7) والدته فاطمة رضي الله عنها،نشأ بالمدينة روى عن جده وأمه وأبيه وعمر بن الخطاب، قتل سنة 61هـ/680م.(المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت 845 هـ/1441م)،**المقفى الكبير**، تحقيق محمد المعلاوي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411هـ/1991م، ج3، ص576 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج12، ص423).

(8) المختار بن أبي عبيد الثقفي، ذو رأي وفصاحة وشجاعة، كان يطالب بالثأر لقتل الحسين بن علي، قتله مصعب بن الزبير.(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص538 ؛ **دول الإسلام**، تحقيق حسين إسماعيل مروة، قدم له محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، ط1، 1999م، ج3 ، ص18).

(9) انظر التفاصيل في: اليعقوبي، مروج الذهب، ج2 ؛ الطبري، تاريخه، ج3 ؛ابن الأثير، الكامل، ج3، ج4؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ج9؛ ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت 597هـ/1200م)، **المنتظم في تواريخ الملوك والأمم**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ/1965م، ج4؛ ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد خلدون (ت808م/1405هـ): **تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/2003م، ج 3 ؛ ابن العماد الحنبلي: أبي الفلاح عبدالحي (ت 1089هـ/1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار أحياء التراث العربي، بيروت،(ب،ت) (ب،ط)، ج2.

حيث بعث لها محمد بن عمير بن عطارد[10]. وذلك في أيام مروان بن الحكم[11] الذي كان يحكم بلاد الشام [12]، وأذربيجان كانت تتبع الولاة الذين يعينهم المختار في تلك الفترة وتتأثر بما يحدث في العراق من مشاكل وحروب داخلية، ولكن المختار بعد أن انتهى من تلك الثورات التي قام بها عامل ابن الزبير على الكوفة، أرسل عماله إلى النواحي وأخرجوا من كان فيها، وأقاموا بها، ومن ذلك ما فعله عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمذاني[13] عامل المختار على الموصل الذي قام بالقضاء على الولاة بمساعدة من أرسلهم المختار له، حيث أرسل إليه إبراهيم بن مالك بن الحارث الأشتر[14] الذي أقام والياً على الموصل وأرمينية وأذربيجان باسم المختار، وهو على العراق والٍ أيضاً، وذلك في سنة 67هـ/ 686م[15].

وفي المقابل كان لابن الزبير عمال وولاة في العراق ذوو تأثير ودورٌ في السيطرة على أذربيجان. حيث ولى أخاه مصعب بن الزبير[16] على البصرة، ومنها اتجه لقتال المختار وأتباعه، وانتصر عليهم وقتل المختار[17]. وبعد أن استقرت له الأمور بعث عماله على الجبال والسواد وكتب إلى ابن الأشتر يدعوه إلى طاعته، وأمره مصعب بأن يحضر إليه، وفعلاً جاء إليه وأقام بالكوفة، وبعث مصعب مكانه بالموصل

---

[10] محمد بن عمير بن عطارد التميمي الكوفي، كان سيد أهل الكوفة، كان مع علي في صفين، وفد على عبدالملك بن مروان، أقام في الشام إلى أن توفي سنة 85هـ/704م. (المقريزي، المقفى، ج6، ص460).

[11] مروان بن الحكم: ابن أبي العاص بن أمية، ولد بمكة، كان شهماً شجاعاً، ذو مكرٍ ودهاء، استولى على الشام ومصر تسعة أشهر، مات خنقاً سنة 65هـ/684م.(الطبري، تاريخه، ج3، ص530 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص477).

[12] في تلك الفترة كانت مكة تحت حكم عبد الله بن الزبير ويسمى بأمير المؤمنين، وتبعه أكثر النواحي. الواقدي: أبو عبدالله محمد بن عمر (ت208هـ/823م)، **فتوح الشام**، بيروت، 1966م، ج2، ص205 ؛ الطبري، تاريخه، ج3، ص448؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص211 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص37؛ ابن خلدون، تاريخه، ج3، ص28.

[13] تولى ولاية الموصل من قبل المختار وقام بالقضاء على الولاة السابقين، له ضياع كثيرة في همدان، قام عمال للمختار بنهبها. (الطبري، تاريخه، ج3، ص448، 504).

[14] من الأبطال المشهورين، امتاز بالفصاحة والبلاغة، شهد صفين مع علي، وبعد عودة علي ولاه مصر، ولكنه مات مسموماً في الطريق. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص34 ؛ ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي(ت 874هـ/1479م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، وزارة الثقافة، مصر، (ب،ت)، (ب،ط)، ج1، ص102).

[15] اليعقوبي، مروج الذهب، ج2، ص259 ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص219 .

[16] مصعب بن الزبير بن العوام القرشي، كان فارساً شجاعاً مقداماً، حارب المختار وقتله، قتله عبدالملك بن مروان سنة 71هـ/ 690م. جدته لأبيه عمه الرسول صلى الله عليه وسلم صفية بنت عبدالمطلب، ووالده الزبير بن العوام من المبشرين بالجنة. (الطبري، **المنتخب من كتاب الذيل المذيل**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1977م، ص555 ؛ المقريزي، المقفى، ج4، ص375 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص141).

[17] الطبري، تاريخه، ج3، ص294 ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص220؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص 67، 68؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج8، ص258 ؛ ابن خلدون، تاريخه، ج3، ص36، 35.

والجزيرة وأذربيجان وأرمينية المهلب بن أبي صفرة[18]، وذلك في سنة 67هـ/686م[19]. وهي الفترة التي كان عبد الملك بن مروان[20] هو الخليفة الأموي القابض على زمام الأمور فيها، والذي كان يحاول أن يضم العراق والحجاز إلى سيطرته. وكانت أذربيجان في العصر الأموي بحكم موقعها وبعدها عن مركز الأحداث في الشام والعراق تضم الثوار والهاربين عن الدولة وحكامها، ومن ذلك ما حدث من خروج شبيب الخارجي[21] ومعه طائفةٌ من أتباعه إلى أذربيجان عن طريق الموصل سنة 76هـ/695م[22]. وكان قد همَّ بالفتك بعبد الملك بن مروان الخليفة الأموي في الحج سنة 75هـ/671م ، وكتب الخليفة عبد الملك إلى واليه في العراق الحجاج بن يوسف بأن يقبض عليهم، ولكنه ومن معه تركوا الكوفة[23]، وتتبعه الحجاج بهف القضاء عليه، إلى أن مات غرقاً سنة 77هـ/696م في أثناء ذلك[24].

ولابد من الإشارة إلى أن أذربيجان لم تزل تحت الحكم الإسلامي وتدين بالدين الإسلامي ولم يظهر منها أو فيها ثورات أو نكسات ضد الخلافة الأموية خلال فترة حكمها. وكانت تعتبر منطلقاً لغزو المسلمين للترك، حيث غزا قتيبة بن مسلم[25] سنة89هـ/707م الترك حتى بلغ باب الأبواب من ناحية أذربيجان، وفتح حصوناً ومدائن كثيرة هناك[26].

---

[18] ولد عام الفتح، غزا الهند وتولى الجزيرة لابن الزبير، حارب الخوارج، تولى خراسان، توفي غازياً سنة 82هـ/ 701م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص384 ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص510).

[19] الطبري، تاريخه، ج3، ص496؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص222؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص70؛ ابن خلدون، تاريخه، ج3، ص37.

[20] ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ولد سنة 26هـ/646م، ذو غزارة علم، أول من سك العملة، توفي سنة 86هـ/673م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص248 ؛ الكتبي: محمد بن شاكر (ت 764هـ/1362م)، **فوات الوفيات**، دار صادر، بيروت، ج2، ص402).

[21] ابن أبي نعيم الشيباني: رأس الخوارج في الجزيرة، أرسل الحجاج لقتاله خمسة من القواد فقتلهم جميعاً، لما تميز به من الشجاعة والإقدام. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص454 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص146)

[22] الطبري، تاريخه، ج3، ص555 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص76.

[23] الطبري، تاريخه، ج3، ص554 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص150 ؛ محمود شيت خطاب، **قادة الفتح الإسلامي في أرمينية**، دار الأندلس الخضراء، دار ابن حزم، جدة، ط1، 1419هـ/1998م، ص199.

[24] النسوي، المعرفة والتاريخ، ج3، ص345 ؛ الطبري, تاريخه، ج3، ص560 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص177.

[25] ابن عمرو بن حصين الباهلي: فتح خوارزم وبخارى وسمرقند، تولى خراسان عشر سنين، فتح فرغانة، قتل سنة 96هـ/ 714م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص 231 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص410).

[26] الطبري، تاريخه، ج3، ص680 ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص423 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص252؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص83 ؛ ابن خلدون، تاريخه، ج3، ص85.

وفي سنة 91هـ/709م غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من جهة أذربيجان أيضاً، واستطاع فتح الكثير من المدائن والحصون، ونصب عليها المجانيق حتى الباب[27]. كما فتحت عدة مدائن وحصون من بحر أذربيجان[28] ومن المعروف عن والي العراق الحجاج بن يوسف قوته وشدته وسطوته، وشدته تلك جعلت ولاته يخرجون عليه، ومنهم سعيد بن جبير[29] الذي كان الحجاج قد جعله على عطاء الجند، ولكنه خلع الحجاج, وهرب إلى أصبهان، ولكن الحجاج كتب إلى عامله فيها ليقبض عليه, فما كان من سعيد إلاّ أن هرب إلى أذربيجان، ولكن طالت عليه السنون، فخرج منها إلى مكة وهناك قبض عليه الحجاج وقتله سنة 94هـ/ 712م[30]. وهذا الحدث المتمثل في اختفاء سعيد بن جبير في أذربيجان يوحي لنا بتفسير لذلك وهو أن أذربيجان كانت ملاذاً أو ملجأً للناقمين على الوالي أو الحاكم أو الخليفة المسلم, وقد يكون موقعها البعيد عن مركز الخلافة والمدن الكبيرة التي بها الولاة الأقوياء يجعلها كذلك، إلى جانب أن طبيعتها الجغرافية الجبلية ألبستها ذلك اللباس، وجعلت منها المكان المناسب لمثل أولئك الثائرين أو الخارجين على الدولة.

العلاقات الخارجية لأذربيجان زمن بني أمية :

لقد تعرضت أذربيجان خلال فترة الحكم الأموي عليها لهجمات الترك، حيث أغاروا عليها سنة 99هـ/717م، وقتلوا جماعة من المسلمين، فأرسل إليهم

---

[27] بن خياط: خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر(ت240هـ/854م)، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، بيروت، ط2، 1397هـ، ج1، ص303 ؛ الطبري، تاريخه، ج4، ص3 ؛ ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي(ت571هـ/1175م)، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج58، ص31؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص431؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 263؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص87 ؛ ابن خلدون، تاريخه، ج3، ص86.

[28] السيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م) ، **تاريخ الخلفاء**، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1381هـ، ج1، ص224.

[29] ابن هشام الأسدي: أحد أعلام التابعين من المحدثين، كان مع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث لما خرج على عبدالملك بن مروان، قتله الحجاج سنة 94هـ/712م .(الطبري، تاريخه، ج4، ص23؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص371، ص372).

[30] الطبري، تاريخه، ج4، ص23؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص280؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص450؛ ابن خلدون، تاريخه، ج4، ص78 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص328 ؛ المقريزي، **المقفى** ، ج3، ص102.

الخليفة عمر بن عبد العزيز[31] القائد حاتم بن النعمان الباهلي[32]، الذي قتل الكثير منهم وهرب القليل، وأرسل إلى الخليفة خمسين أسيراً[33].

وفي عهد يزيد بن عبد الملك[34] سنة 104هـ/722م قامت الجيوش الإسلامية مرة أخرى بغزو الترك عن طريق أذربيجان، عندما غزا الجراح بن عبد الله الحكمي والي أرمينية وأذربيجان وأرض الترك وفتح بلنجر[35]، وهزم الترك وأغرقهم وذراريهم في الماء[36]، وسبى الكثير منهم، وفتح عدة حصون حول بلنجر، وأجلى أهلها، والتقى مع الخاقان وحاربه وهزمه؛ فتبعهم المسلمون وقتلوا الكثير منهم[37]، وذلك بسبب هزيمة المسلمين للخزر الذين طمعوا في السيطرة على البلاد فحشدوا الحشود، ولكن الجراح الحكمي كان لهم بالمرصاد فعبر نهر الكر، وغنم من مدينة باب الأبواب، والتقوا عند نهر الران واقتتلوا معهم وانتصر الجراح والمسلمين وغنموا الكثير[38]. ثم اتجه إلى حصن يعرف بالحصين[39] وطلب أهله منه الأمان وأمنهم، ثم اتجه إلى مدينة يرغوا[40]، وحاصرها وقاتل أهلها ستة أيام، ثم طلبوا منه الأمان وأجابهم. وفي

([31]) ابن مروان بن الحكم، خليفة أموي يعد من الخلفاء الراشدين، ولد سنة 63هـ/ 682م، ذو علم وفقه وورع، امتاز عهده بالعدل ودحر الظلم, توفي سنة 101هـ/719م.(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص114 ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص133).

[32] سيد بني باهلة بالجزيرة، شهد صفين، فتح مرو بعد أن صالح أهلها سنة 31هـ/651م في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، بنى مدينة برذعة في عهد عبدالملك .(البلاذري: أبو الحسن البلاذري (ت579هـ/1183م)، **فتوح البلدان**، تعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(ب،ت) (ب،ط)، ص207 ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج11، ص279).

[33] ابن خياط، تاريخه، ج1، ص320؛ الطبري، تاريخه، ج4، ص61 ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص517 ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج36، ص268 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص315 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص192، 195؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص241.

[34] ابن مروان بن الحكم: تولى الخلافة بعد عمر بن عبدالعزيز، وكانت مدة خلافته أربعة أعوام، توفي سنة 105هـ/ 723م.(الذهبي، تاريخ الإسلام، ج4، ص212 ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج4، ص322).

[35] مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب، كانت تخضع لحكم الترك. (الحموي، معجم البلدان، 12، ص489).

[36] أرى أن هذه الرواية بعيدة عن الصواب لأنه لم يعرف عن أي قائد مسلم أن ارتكب هذا العمل لأن ذلك ليس من التعاليم التي نص عليها الدين، ولربما كان ذلك الوصف من قبيل الإثارة وتضخيم الشيء جذباً وتشويقاً بالرغم من عدم حدوثه.

[37] اليعقوبي، تاريخه، ج2، ص313 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص361؛ ابن خلدون، تاريخه، ج3، ص100 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص236.

[38] النسوي، المعرفة والتاريخ، ج3، ص381 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص361؛ محمد ناصر العبودي ،**جمهورية أذربيجان** ، ط1، 1413هـ/1992م ، ص138.

[39] بليدة على نهر الخابور، من أهلها الشيخ أبو بكر بن القعقاع، وقبره فيها ويتبرك به.(الحموي، معجم البلدان، ج2، ص267).

[40] مدينة تابعة لبلاد الخزر، تمتاز بحصانتها، حاصرها المسلمون حصاراً شديداً، وفتحت صلحاً.(ابن الأثير، الكامل، ج4، ص362).

سنة 105هـ/723م صالح مسلمة بن عبد الملك أهالي خيزان[41] وهدم حصنها، وحارب ملوك الجبال وصالحوه كما تمكن أن يتم فتح الباب[42]. وفي سنة 107هـ/725م جعل مسلمة بن عبد الملك والي أرمينية وأذربيجان سعيد بن عمرو الحرشي[43] على مقدمة جيشه؛ فلقي عسكر الخرز معهم أسرى من المسلمين وحاربهم، واستطاع إلحاق الهزيمة بهم، وأنقذ الأسرى المسلمين منهم. ولقد جلب مسلمة حاميات عربية إلى أران، وجعل بردعة قاعدة للعمليات العسكرية ضد الخزر، وفي سنة 108هـ/726م جعل مسلمة بن عبد الملك الحرث بن عمرو الطائي[44] على أذربيجان نائباً عنه، وقام الحرث بالاتجاه ناحية بلاد الترك واستطاع فتح القرى والقلاع والحصون وكان له أثرٌ حسنٌ فيها[45].

واستمرت اللقاءات الحربية مع الترك الذين حاولوا استغلال الظروف في الدولة الإسلامية والإغارة على أذربيجان، حيث زحف مارتيك ابن خاقان[46] إلى أذربيجان سنة 108هـ/726م، وحاصر مدنها ورماها بالمجانيق[47]، وسار إليه الحرث بن عمرو[48] أمير تلك الناحية، والتقى معهم في حرب انتهت بهزيمة ابن خاقان وقتل مع الكثير من جيشه[49].

وفي سنة 109هـ /727م غزا مسلمة بن عبد الملك الترك أيضاً من ناحية أذربيجان، وسرح الجيوش في هذه السنة في أذربيجان الجبلية ذات البرد القارس وقضوا الشتاء بها[50]. وأخذ عليهم باب اللان[51] وذلك في سنة 110هـ/728م، والتقى مع خاقان

---

(41) من نواحي أرمينية، لها ذكر في الفتوح، كانت حصينة، وهدم الحصن في عهد بني أمية.(الحموي، معجم البلدان، ج2، ص411).

(42) البلاذري، فتوح البلدان، ص 209 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص362.

(43) كان فقيراً، ثم منّ الله عليه وأصبح في الجند، ثم تولى إمرة خراسان، ثم تولى قتال الخزر، مرض في تلك الفترة. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص248).

(44) الحرث بن عمرو الطائي: استنابه مسلمة بن عبدالملك على أذربيجان ، ولقد كان له دورٌ كبير في الجهاد الإسلامي والحروب ضد الترك. (ابن الأثير، الكامل، ج4، ص391).

(45) اليعقوبي، مروج الذهب، ج2، ص317 ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج11، ص457 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص378؛ العبودي، جمهورية أذربيجان، ص138 ؛ محمود شيت، قادة الفتح، ص281، 282 ؛ منى سعد محمد الشاعر، **الفتوحات الإسلامية لخلاط وأعمالها وتوطيد النفوذ الإسلامي في أرمينية (24-352هـ/645-963م)**، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، العدد الرابع والعشرون، 2006م، ص784، 785 .

(46) ذكر ابن كثير أن خاقان هو الذي سار إلى أذربيجان. ج9، ص262.

(47) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص380؛ ابن خياط، تاريخه، ط1، ص338؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج11، ص457 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص262.

(48) سماه ابن كثير بالحارث بن عمرو، ج9، ص262.

(49) ابن خياط، تاريخه، ج2، ص338؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص390 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص262 ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص135.

(50) ابن خياط، تاريخه، ج1، ص339؛ اليعقوبي، تاريخه، ج2، ص262 ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج58، ص38 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص383.

(51) النسوي، المعرفة والتاريخ، ج3، ص388 ؛ اليعقوبي، تاريخه، ج2، ص329 ؛ محمود شيت، قادة الفتح، ص282، 283.

واستمر القتال لمدة شهر تقريباً، وأصابهم مطرٌ شديد، انهزم بعدها خاقان وانصرف، ورجع مسلمة بن عبد الملك سالكاً مسلك ذي القرنين[52]. ورداً على هزيمتهم السابقة، اتجه الترك إلى أذربيجان للإغارة عليها في سنة 111هـ/ 729م، ولقيهم الحرث بن عمرو وأوقع بهم الهزيمة[53]، واتجه الجراح الحكمي سنة 111هـ/729م وقيل في سنة 110هـ/ 728م إلى غزو بلاد الخزر من ناحية تفليس، ففتح مدينتهم البيضاء، وانصرف سالماً[54]، وفي سنة 112هـ/730م غزا مسلمة بجيشه في الثلوج في فصل الشتاء بلاد الخزر حتى تجاوز باب الأبواب، وافتتح مدائن وحصون عدة، وفي السنة نفسها جمع ابن خاقان جمعاً عظيماً، واتجه إلى بلاد الإسلام[55]، وتجمعوا في مرج أردبيل، وتقاتل الطرفان وتكاثرت الخزر والترك على المسلمين، فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج أردبيل[56]، وبعد موت الجراح طمع الخزر وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا البصرة، وأخذ العدو أردبيل[57]، وعندما علم الخليفة هشام بن عبد الملك[58] بالأمر، بعث سعيد بن عمرو الحرشي الذي سار إليهم، وكان لايمر بمدينة إلاَّ ويحث أهلها على الجهاد ويجيبونه[59]، وحاصر خلاط[60] لامتناعها، واستطاع

---

(52) هو الطريق الذي سلكه ذو القرنين لبلوغ الشمال والغرب, وهو ملك يسر له الله الطرق والأساليب لفتح الأقاليم وكبت ملوك الأرض. (ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، صححه الشيخ خليل الميس، دار القلم، بيروت، لبنان، ج3، ص89).

(53) الطبري، تاريخه، ج4، ص129 ؛ اليعقوبي، تاريخه، ج2، ص329؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص389، 391 ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص611؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص270 ؛ العبودي، جمهورية أذربيجان، ص138.

(54)ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج58، ص39 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص391؛ الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، حقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1984م، ج1، ص 136؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص144.

(55) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص391؛ الذهبي، دول الإسلام، ج1، ص100؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص 144؛ محمود شيت، قادة الفتح، ص352، 353.

(56) ابن خياط، تاريخه، ج1، ص342؛ اليعقوبي، تاريخه، ج2، ص329؛ الطبري، تاريخه، ج4، ص139؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص393 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص190؛ العبر، ص137؛ ابن خلدون، تاريخه، ج3، ص107 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص271.

(57) ابن خياط، تاريخه، ج1، ص342؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص393؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص307 ؛ ابن خلدون، تاريخه، ج3، ص107؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص271.

(58) هشام بن عبد الملك بن مروان: خليفة أموي، كان جميلاً عاقلاً حازماً، بنى الرصافة بعد انتشار الطاعون بالشام، وكان يسكنها بالصيف. (المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص142 ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج4، ص238).

(59) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص293؛ الذهبي، العبر، ج1، ص138؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص207؛ ابن خلدون، تاريخه، ج3، ص107.

(60) قصبة أرمينية الوسطى، تمتاز بالزراعة وكثرة الثمار والفواكة، إضافة إلى وفرة المياة وخصوبة الأراضي.(ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي (ت367هـ/977م)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م، ص295).

فتحها وقسم الغنائم، وفتح الحصون والقلاع القريبة منها إلى أن وصل إلى برذعة ونزل فيها، وكان ابن خاقان في أذربيجان يقوم بالنهب والقتل والسبي، وحاصر مدينة ورثان، واستطاع الحرشي أن يفك عنها الحصار[61]، ثم اتجه إلى أردبيل في طلب الخزر، وأنقذ الأسرى والسبايا من نساء المسلمين ومن أهل الذمة أيضاً، وقتل الكثير من الترك، وأسر منهم الكثير[62]، ولم يكتف هشام بذلك وإنما أرسل سنة 113هـ/731م أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك، فسار إليهم في بردٍ شديد وشتاءً شديد المطر والثلوج، حتى وصل إلى الباب[63]، والتقى بهم وحدث بينهم قتالٌ شديد وفرق الجيوش في بلاد خاقان وفتحت مدائن وحصون على يديه، ودان له من وراء جبال بلنجر وأعمالها، وقتل ابن خاقان وأسر وسبى الكثير؛ وعاد مسلمة سنة 114هـ/732م عن الباب بعد أن هزم خاقان، وأقر الأمور فيها[64]. وفي السنة نفسها تولى مروان بن محمد[65] الجزيرة وأذربيجان وأرمينية[66] وسار حتى جاوز نهر الزم فأغار وقتل الكثير من الصقالبة، واستطاع توطيد الأمن والاستقرار في المنطقة[67].وفي سنة 117هـ/735م بعث مروان بن مروان بعثين إلى أرض الترك[68] أحدهما فتح ثلاثة حصون من اللان، والآخر إلى تومانشاه[69]، وعقد مع أهلها

---

[61] البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص208.

[62] ابن خياط، تاريخه، ج1، ص342 ؛ الطبري، تاريخه، ج4، ص139؛ الذهبي، العبر، ج1، ص138 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص 393،394 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص207؛ ابن خلدون، تاريخه، ج3، ص108.

[63] الطبري، تاريخه، ج4، ص139؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص395 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص307 ؛ ابن خلدون، تاريخه، ج3، ص108.

[64] الطبري، تاريخه، ج4، ص149، ص150 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص403؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص308؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1, ص147.

[65] ابن عبدالملك بن مروان، يعرف بمروان الحمار، آخر خلفاء بني أمية في الشام كان بطلاً شجاعاً، ولد سنة 72هـ/691م، تولى الجزيرة وأذربيجان، حارب الصقالبة والروم، قتل سنة 132هـ/749م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص75 ؛ تاريخ الإسلام، ج5، ص555).

[66] الطبري، تاريخه، ج4، ص150 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص114؛ العبودي، جمهورية أذربيجان، ص38 ؛ منى الشاعر، الفتوحات الإسلامية، ص786.

[67] القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م)، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1985م, ج1, ص164 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص273؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص147؛ العبودي، جمهورية أذربيجان، ص38.

[68] اليعقوبي، تاريخه، ج2، ص329؛ الطبري، تاريخه، ج2، ص157؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص413؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص317.

[69] تومانشاه: من المدن التابعة للترك، وهي تقع في الإقليم الخامس، تمتاز بوفرة المياة فيها. (الحميري، الروض المعطار، ص114).

الصلح[70]، وفي سنة 119هـ/737م غزا مروان بن محمد بلاد الخزر ومر ببلنجر وسمندر حتى انتهى إلى البيضاء، وفي سنة 120هـ/737م غزا بلاد الترك[71]، وكان مروان بن محمد في فترة ولايته لأرمينية وأذربيجان يغزو المناطق التي تحاول شق عصا الطاعة على المسلمين، فيحارب المدن الأرمينية ليعيدها إلى حكم الدولة الإسلامية، كما فعل في سنة 123هـ/740م عندما غزا جيلان وموقان. إلى جانب أن أذربيجان كان فيها الكثير من المعارضين للدولة الأموية، أو الذين يريدون أخذ الثأر لآل البيت، ومن المعارضين الذين خرجوا على الدولة كان بسطام بن الليث[72] الذي خرج من أذربيجان سنة 128هـ/745م، واتجه إلى بلاد الجزيرة إلى نصيبين[73] في مجموعة من الرجال وحاربه عسكر الموصل، وانتصر عليهم، وعاث في نصيبين فساداً ثم قتل بعد ذلك[74]. ولكن ذلك لايعني انفصال أذربيجان عن الحكم الإسلامي، وإنما ما يخرج من معارضة فيها إنما يعبر عن هدف شخصي أو مجموعة التفت حول أحدهم، واستطاعت الدولة القضاء عليهم، ولقد استتب الحكم الإسلامي في أواخر عهد الأمويين في أذربيجان وظلت خاضعة للأمويين حتى نهاية هذه الدولة.

المظاهر الحضارية لأذربيجان خلال العصر الأموي

لقد كان الفتح الإسلامي لأذربيجان إيذاناً بانتشار الحضارة الإسلامية بها، ويعود الاستقرار العربي إلى عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي قام بإسكان أردبيل جماعة من العرب من أهل العطاء والديون، وبنيت المنازل الخاصة بهم، كما قام الخليفة ببناء المسجد لها[75]، ولقد استقبل المجتمع الأذربيجاني التراث الإسلامي بقوة وتقبل كبير، خاصة أن الفتح الإسلامي لها رافقه انتشار للقبائل العربية، واستقرارها بالتالي في أذربيجان، وهذا الاستيطان جعل المجاهدين المسلمين يحرصون على اصطحاب أسرهم وذويهم معهم؛ مما شجع القبائل العربية على متابعة التدفق إلى أذربيجان، وكان لها دورها المهم في عملية بناء دولة إسلامية لها حضارتها وقيمها التي تحرص على حمايتها وازدهارها. وقامت القبائل والعشائر التي

---

[70] الطبري، تاريخه، ج4، ص157؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص413؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص276 .

[71] ابن الأثير، الكامل، ج4، ص433 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص320.

[72] أحد المعارضين للدولة الأموية، خرج سنة 128هـ/745م من أذربيجان بلد الثورة إلى نصيبين في أرض الجزيرة وعاث فيها فساداً.(الذهبي، العبر، ج1، ص174 ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص166).

[73] نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة، وتقع على طريق القوافل من الموصل إلى الشام، تمتاز بكثرة بساتينها ومياهها.(الحموي، معجم البلدان، ج5، ص288).

[74] اليعقوبي، تاريخه ، ج2، ص329؛ الذهبي، العبر، ج1، ص174؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص174؛ محمود شيت، قادة الفتح، ص87، 88 ؛ منى الشاعر، الفتوحات الإسلامية، ص786.

[75] البلاذري، فتوح البلدان، ص 324؛ رشيد عبد الله الجميلي، **دور العرب الثقافي والحضاري في المشرق الإسلامي**، مجلة آداب المستنصرية، العدد السادس، 1402هـ/1982م، ص107.

نزلت هناك بشراء الأراضي الزراعية، وعملوا بها مع الأهالي، وهذا كان له دوره أيضاً في الازدهار الحضاري الإسلامي هناك، حيث قامت هذه القبائل بالدعوة إلى الإسلام، وبالتالي حدوث التطور في البلاد بسبب الاتفاق بين الطرفين[76]. وامتزاج الأجناس المختلفة أدى إلى انتشار الإسلام والأخذ من الثقافة الإسلامية، مع التمسك بالقيم الثقافية الموروثة، فشهدت المنطقة تبعاً لذلك ازدهاراً ثقافياً عظيماً، وهذا الازدهار الثقافي كان نابعاً من الاستقرار السياسي الذي كان له نتائج بعيدة المدى، حيث ساهم ذلك في ازدهار المدن والتطور الزراعي والصناعي، إضافة إلى التوسع في العلاقات التجارية والاقتصادية[77]. كما أدى الفتح الإسلامي في أذربيجان إلى استقرار الحياة السياسية والاقتصادية في البلاد؛ مما أدى إلى تعزيز السلطة الإسلامية فيها، وأدت القبائل العربية دوراً كبيراً في ذلك، وكانت القبائل التي نزحت إليها في العهد الأموي من عرب الشمال[78].

وكان للثروات الطبيعية التي كانت أذربيجان تتميز بها جذبٌ واسع لكثير من الجماعات العربية، فهاجروا إليها واتخذوها موطناً لهم، وكان استقرارهم إما في المدن أو القرى الصغيرة كمرند وأرمية، أو في المدن الرئيسية كتبريز، والنتيجة الطبيعية لهذه الظاهرة والمتمثلة في استيطان العرب في مختلف نواحي أذربيجان كانت ازدياد الداخلين في الدين الإسلامي[79]. كان للمغازي التي تأتي من الكوفة كل سنة لغزو هذا الثغر" أذربيجان "، والبالغ عددهم عشرة آلاف كل سنة دورهم الكبير أيضاً في نشر الإسلام وحضارته وثقافته في أذربيجان. وكان للاستقرار السياسي أثره في ازدهار المراكز التجارية والصناعات، وتوسيع العلاقات التجارية، وكانت برذعة تنتج الحرير والأقمشة المختلفة، وتلتقي فيها طرق التجارة لتوصلها إلى المدن الأخرى، كما تستورد أذربيجان عبرها الحديد والفراء والعطور والبهارات من البلدان الخارجية، وتصدر إليها في المقابل الحرير الخام والمنسوجات والنفط وغيرها، وتطورت أيضاً علاقاتها التجارية مع الهند والصين، ومع أوروبا الشرقية والغربية[80].

---

[76] البلاذري، فتوح البلدان، ص324؛ صالح أحمد العلي، **امتداد العرب في صدر الإسلام**، مجلة المجمع العلمي العراقي،ج1،المجلد32،ربيع الأول 140هـ، كانون الثاني 1981م ص33.

[77] رفيق عليوف، **الإسلام والثقافة الأذربيجانية**، مقال، آفاق الثقافة والتراث، إدارة البحث العلمي بدبي، السنة الأولى، العدد الثاني، ربيع الثاني 1414هـ/ سبتمبر 1993م، ص9.

[78] البلاذري، فتوح البلدان، ص324 ؛ رفيق عليوف، **الإسلام والثقافة الأذربيجانية**، دراسة للخصائص الرئيسية للتطور الثقافي في أذربيجان قديماً وحديثاً، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، 1416هـ/1996م، ص21؛ الجميلي، دور العرب الثقافي، ص19.

[79] حامد غنيم، انتشار الإسلام في الرحاب، الأزهر، ج10، ص858. حامد غنيم، **انتشار الإسلام في الرحاب**، مجلة الأزهر، تصدر عن مشيخة الأزهر، السنة42،شعبان1390هـ/أكتوبر1971م،ج10، ص858

[80] الطبري، تاريخه، ج2، ص591 ؛ رفيق عليوف، الإسلام والثقافة (دراسة)، ص25.

ولا بد من الإشارة إلى أنه في بداية العهد الأموي لم تكن هناك نواحٍ حضارية كبيرة في أذربيجان، وقد يعود ذلك إلى الحاجة أو الانشغال باستتباب الأمور في البلاد، بالإضافة إلى التغيير المستمر في الولاة، إلى جانب الحروب المستمرة مع الترك، وبالرغم من ذلك أرى في مصادرنا إشارات لبعض النواحي الحضارية في أذربيجان وهي ماسنتناوله في الصفحات التالية:

* بناء مدينة دبيل في عهد معاوية بن أبي سفيان، وتم تحصينها، وزيادة مساحة المسجد بها، وأسوار الدفاع تلك تعتبر أثراً مهماً وشاهداً على العمارة الإسلامية هناك[81].

* بناء مدينة النشوى أيضاً، في عهد معاوية بن أبي سفيان، على يد واليها عبدالعزيز بن حاتم الباهلي.

* ترميم مدينة برذعة، وقيل جُدد بناء هذه المدينة بأكملها، أيضاً في عهد الوالي عبدالعزيز بن حاتم، كما أحكم حضر الفارقين فيها.

* تجديد بناء مدينة البيلقان أيضاً، في ولاية عبدالله بن حاتم الباهلي، ولقد كانت تلك المدن -النشوى، برذعة، البيلقان- متهدمة ومتشعثة.

* إقامة الثغور على بحر الخزر "قزوين"؛ لتكون قواعد لحماية ديار الإسلام من جهة، ومنطلقاً لنشر الدعوة من جهة أخرى[82].

* اكتساب المراغة مكانتها كمدينة هامة في أذربيجان، بعد أن عسكر فيها مروان بن محمد في أثناء عودته من غزو موقان وجيلان سنة 119هـ/737م، حيث كانت دوابه ودواب أصحابه تتمرغ بها/ وفي أيام مروان بن محمد كثر الناس فيها وزرعوها وعمروها.

* كانت مدينة ورثان قنطرة، احيا مروان بن محمد بن مروان أرضها وحصنها، وجعلها ضيعةً له.

* إقامة العدل والوفاء في المكاييل في برذعة، حيث رفع للجراح الحكمي اختلاف المكاييل والموازين فيها، فاتخذ لهم مكيالاً يدعى الجراحي أصبح أهلها يتعاملون به[83].

---

[81] البلاذري، فتوح البلدان، ص 207؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص93 ؛ رفيق عليوف، الإسلام والثقافة "دراسة، ص32.

[82] البلاذري، فتوح البلدان، ص207 ؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص371 ؛ العدوي، الإسلام والمسلمون، ص309.

[83] البلاذري، فتوح البلدان، ص 208، ص325 ؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص93 ؛ حسين قاسم العزيز، **البابكية (الانتفاضة ضد الخلافة العباسية**، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، دمشق، 2000م ، ص68 ؛ حامد غنيم، **انتشار الإسلام في الرحاب**، مجلة الأزهر، تصدر عن مشيخة الأزهر ،ج3،السنة42،ربيع الأول1390هـ /مايو1970م،ج5، ، ص438.

* ازدهرت الحياة الثقافية في أذربيجان وتنافس الأدباء والشعراء في قول الشعر وكتابة الأدب.

ومما يؤكد لنا ذلك الازدهار في الحياة الثقافية، ومما يؤكد لنا الارتباط السياسي والثقافي بالمسلمين أن أحد شعراء أذربيجان وهو إسماعيل بن يسار النسائي الأذربيجاني[84] عاش في قصر الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، وكان قد مدحه في كثير من أشعاره[85].

* كسب الشعوب في المشرق إلى الإسلام ويرجع الفضل لذلك إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز بسبب سياسته، التي تميزت بتحقيق العدل والمساواة ومحاسبة الولاة على ما يفعلونه في إماراتهم، وخير مثال عليها ما فعله والي أذربيجان من قبله من أخذ عشرة آلاف من مال أحد الأهالي، ووضعها في بيت المال، فاشتكى هذا الأذري إلى الخليفة ورد له حقه، مما جذب تلك الشعوب إليه وإلى الإسلام[86].

* إلغاء الجزية التي كانت تجبى من المسلمين غير العرب، الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً، ومنح الداخلين في الإسلام هبات من المال لتأليف قلوبهم أكثر إلى الدين الإسلامي، وتلك من أهم الأعمال التي قام بها عمر بن عبد العزيز[87].

* اتخذ مسلمة بن عبد الملك لنفسه الضياع في خيزان، وهي ماعرفت بخورخيزان مشجعاً بذلك الزراعة، وقام بإسكان أربعة وعشرين ألفاً من أهل الشام في باب الأبواب، بهدف الحفاظ على الحكم الإسلامي، وضمان تبعيتها للدولة الإسلامية[88].

* قسم مسلمة مدينة دربند أو باب الأبواب إلى أربعة أرباع، الربع الأول أعطاه للمحاربين من أهالي الشام، والثاني للمحاربين من أهل حمص، والثالث للمحاربين من أهل فلسطين، والربع الأخير أعطاه للمحاربين من الشام والجزيرة، كما بنى لكل منهم محلة وجعل فيها مسجداً خاصاً به: أحدهما لأهل دمشق، وسمي دمشق. والآخر سمي مسجد فلسطين لأهل فلسطين، ومسجد حموص(حمص) لأهل حمص، ومسجد موجل (موصل) لأهل الموصل، ومسجد قيصر لأهل قيصر[89].

---

(84) إسماعيل بن يسار النسائي الأذربيجاني: من شعراء بني أمية، طيباً مليح الشعر، غضب عليه هشام لأنه طلب منه أن يمدحه، ولكنه أخذ يفخر بالعجم، ونفي إلى الحجاز. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص21)

(85) عليوف، الإسلام والثقافة (خصائص)، ص23.

(86) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج38، ص265، ج45، ص201 ؛ حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجيل، بيروت، بالاشتراك مع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1416هـ/1996م، ج1، ص320 .

(87) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج1، ص320.

(88) البلاذري، فتوح البلدان، ص 209؛ محمد عبدالعليم العدوي، **الإسلام والمسلمون في الإتحاد السوفيتي**، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، ج5، السنة64، جمادى الأولى1412هـ/نوفمبر1991م ص309.

(89) البلاذري، فتوح البلدان، ص210 ؛ عمري شيخ سعيدوف، **بلاد الشام وشمالي القفقاس في العصر العباسي (العلاقة الثقافية والسياسية والاقتصادية)**، منشورات لجنة تاريخ الشام، عمان، 1412هـ/1992م، ص571، 572.

* في ولاية مروان بن محمد عسكر بالقرب من المراغة، وكان لذلك الأثر في استقرار المسلمين فيها، وضمت الكثير من أراضيها إلى مروان، وتألف وكلاؤه الناس، وكثروا فيها لتعزيز مكانتهم وقاموا بتعميرها. ثم أصبحت لبني العباس بعد سيطرتهم على أملاك الدولة الأموية. كما قام مروان بن محمد بإحياء أراضي ورثان، وعمد على تحصينها، فأصبحت ضيعة خاصة له ولكنها أصبحت لبني العباس، فهدموا سورها ورمموه بعد ذلك[90].

وإسكان خلفاء بني أمية للمسلمين العرب في أذربيجان وما ضمنته النصوص في هذا الصدد يدفعنا للقول بأن هؤلاء العرب من بلاد الشام حيث استوطنوها في العصر الأموي، وكان لهم الأثر الكبير في انتشار الإسلام وتعمير المدن في أذربيجان. ومن القرى التي بناها المسلمون في أذربيجان بالقرب من مدينة باب الأبواب: كماخ، وحميدي (المحمدية)، وداروا‌ق (بالفارسية) أي باب واق (بالعربية)، وأما دربند (باب الأبواب) فقد كانت مدينة قديمة ومركزاً للعلماء والفقهاء والكُتاب بالإضافة إلى الصناع، سواءً كانوا حدادين أو كاسين أو بنائين أو تجار أو غيرهم[91].

وهكذا نجد أن الاستقرار الإسلامي في أذربيجان كان له دورٌ في الازدهار الحضاري فيها، فكلما كان الوضع مستقراً سياسياً كان له كبير الأثر في التقدم زراعياً وتجارياً وثقافياً وعمرانياً أيضاً، كما أن المنازعات الداخلية التي كانت تقع بين الحكام المسلمين تؤثر سلباً على سير الفتوح والتطور الحضاري بطبيعة الحال، ومهما يكن من أمر فإن اللمسات الإسلامية والحضارة المسلمة غزت البلاد المفتوحة، وأثبتت تفوقها وقدرتها على مواكبة التطور، وأثبتت جدارتها وأصالتها، خاصةً فيما يتعلق بالأسلحة الحربية، التي كانوا يستخدمونها في حروبهم، إلى جانب الثقافة العربية واللسان العربي اللذين سَمَوَا وحَلَّقَا في أجواء تلك البلاد ومنها أذربيجان، فكان التأثر بالقبائل العربية المستوطنة فيها كبيراً وقوياً.

(90) البلاذري، فتوح البلدان، ص 325 ؛ العلي، امتداد العرب، ص33.
(91) اليعقوبي، مروج الذهب، ج2، ص143 ؛ عمري شيخ سعيدوف، بلاد الشام، ص572.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي تتبعت من خلاله المظاهر الحضارية لأذربيجان فترة حكم بني أميه، خلصت إلى النتائج التالية :

- أذربيجان جزءاً لا يتجزأ من جسم الدولة الإسلامية مترامية الأطراف، تتأثر بما فيها، كما تؤثر هي أيضاً في مجريات الأحداث في الدولة الإسلامية.
- تأرجح ولاء أذربيجان بين السلاطين والحكام والولاة المسلمين، فهي دولة ثورية استعصت كثيراً على المسلمين، وإن كانت في فترات القوة الإسلامية تنضوي تحت لوائهم، ثم لا تلبث في فترة الضعف والانقسام أن تعود لما جبلت عليه من ثورية.
- ضمت أذربيجان ثروة حضارية ضخمة تمثلت في الميراث العمراني والثقافي والعلمي والاقتصادي، وتعتبر تلك الثروة امتداداً طبيعياً، وانعكاساً للثروة الإسلامية في الدول الإسلامية.
- الحكم الأموي لم يكن شاملاً كافة أجزاء أذربيجان، ومما يؤكد لنا ذلك خضوع أجزاء منها لولاة تم تعيينهم من قبل الحكام في الحجاز.
- كانت أذربيجان نقطة انطلاق مهمة لمحاربة الترك والخزر وأرمينية وتحقيق الانتصارات عليهم.
- تعتبر الهجمات الخارجية من الكرج والروم سبباً أساسياً في رغبة السكان الأذربيجانيين في الاستقرار والأمان، ولذا كانت تستكين تحت الحكم إسلامي.
- استقرار الحكم الإسلامي في أذربيجان أواخر عهد الأمويين في ولاية مروان بن محمد الطويلة لها والذي تميز بشجاعته وقوته، وحبه الشديد للجهاد في سبيل الله، يؤكد ذلك.